المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

إرهاصات اللسانيات النصية
عند البلاغيين القدامى: دراسة تحليلية

Indications of textual linguistics among ancient rhetoricians: an analytical study

بقلم الدكتورة

بيان بنت إبراهيم بن عبد العزيز السيف

أستاذ البلاغة والنقد المشارك قسم اللغة العربية

كلية التربية ـ جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز بالخرج

المملكة العربية السعودية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار سبتمبر ٢٠٢٤م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

إرهاصات اللسانيات النصية عند البلاغيين القدامى: دراسة تحليلية

بيان بنت إبراهيم بن عبد العزيز السيف

قسم البلاغة والنقد ـ قسم اللغة العربية ـ كلية التربية ـ جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز بالخرج ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: b.alseef@psau.edu.sa

الملخص

يتناول هذا البحث: إرهاصات اللسانيات النصية عند البلاغيين القدامى: دراسة تحليلية، ويهدف البحث إلى تحديد مفهوم اللسانيات النصية، والكشف عن الإسهامات والإرهاصات الأولى وبداية النشأة لنظريات لسانية نصية من خلال التراث البلاغي والنقدي، وبيان المعايير المختلفة التي أظهرها القدامى وبنى عليها علماء النص نظرياتهم، والوقوف على معايير النصية عند البلاغيين والنقاد القدامى، ومقارنة هذه الإشارات عند البلاغيين والنقاد القدامى بما ورد في المراجع التي أسست للمعايير النصية؛ لإظهار الفارق بينهما، ومن أبرز تلك الإسهامات التي وقف عليها البحث: ما جاء عن صياغة الكلام وبدايات فكرة النظم عند ابن المقفع(ت١٤٢هـ)، وتلاحم أجزاء الشعر والسبك عند الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، والمناسبة بين أجزاء الكلام عند ابن طباطبا العلوي(ت٣٢٢هـ)، والتمام وجودة الرصف والسبك عند أبي هلال العسكري(ت٣٩٥هـ)، والنظم والاتساق عند عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ)، والمؤاخاة بين المعاني عند ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٢٢هـ)، وتماسك الفصول عند حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ).ومن أبرز ما توصل إليه البحث كشفه عن وجود إشارات وإسهامات بالغة الأهمية لدى البلاغيين والنقاد القدامى تعدد لبنات مؤسسة للكثير من جوانب اللسانيات النصية التي ظهرت لدى المحدثين.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات النصية، البلاغيون والنقاد القدامى، التماسك، السبك والحبك، الاتساق.

Indications of textual linguistics among ancient rhetoricians: an analytical study

Bayan bint Ibrahim bin Abdul Aziz Al-Saif
Department of Rhetoric and Criticism - Department of Arabic Language - College of Education - Prince Sattam bin Abdulaziz University in Al Kharj - Kingdom of Saudi Arabia
Email: b.alseef@psau.edu.sa

Abstract

This research deals with: indications of textual linguistics among ancient rhetoricians: an analytical study. The research aims to define the concept of textual linguistics, reveal the first contributions and indications, and the beginning of the emergence of textual linguistic theories through the rhetorical and critical heritage, and explain the various standards demonstrated by the ancients and on which textual scholars built their theories. Identifying the textual standards of ancient rhetoricians and critics, and comparing these references among ancient rhetoricians and critics with what was stated in the references that established textual standards. To show the difference between them, and among the most prominent contributions that the research focused on were: what came about the formulation of speech and the beginnings of the idea of rhythm according to Ibn al-Muqaffa (d. 142 AH), the cohesion of parts of poetry and syllables according to al-Jahiz (d. 255 AH), and the correspondence between parts of speech according to Ibn Tabataba al-Alawi (d. 322 AH). And the completeness and quality of paving and casting according to Abu Hilal Al-Askari (d. 395 AH), and the systems and consistency according to Abd al-Qahir al-Jurjani (471 AH), and the brotherhood between meanings according to Diya al-Din Ibn al-Atheer (d. 622 AH), and the coherence of the chapters according to Hazem al-Qartajani (d. 684 AH). Among the most prominent findings of the research are His revelation of the existence of very important references and contributions from ancient rhetoricians and critics is a multiplicity of foundation building blocks for many aspects of textual linguistics that emerged among moderns.

Keywords: textual linguistics, ancient rhetoricians and critics, cohesion, casting, consistency.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نحمد الله تعالى ونستعينه ونستغفره، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد بن عبد الله خير رسل الله، وأما بعد...

فللبلاغيين العرب القدامى معرفة كبيرة بالنص، فقد قامت كتاباتهم حول النص سواء كان شعرًا أم نثرًا،، وأدركوا دوره في إتمام الصورة الأدبية، ومن يتأمل الأبواب البلاغية يجد أن جلها قائم على ما يحقق التلاحم بين الجمل، ففيها باب الفصل والوصل الذي يرتكز على فكرة ترابط الجمل بالوصل عن طريق أدوات العطف، ومنها باب الحذف الذي يكون عود المحذوف على جمل سابقة تبينه وتكشف كنهه، ومنه التلاحم بين الجمل والتعليق بينها، وهو (النظم)، وقد اختلفت هذه المعرفة من حقبة زمنية إلى أخرى، ومن فكر منهجي إلى فكر منهجي آخر، كما تباينت المصطلحات المعبرة عن النظرة الشمولية النصية، فقد عبر عنه بعضهم بالنسيج، وصوروا ذلك بنسج الثوب أو بالتصوير الذي لا يظهر شكله إلا بالتلاحم بين القطع المنسوجة أو المصورة، وتناوله آخرون تحت مسمى (النظم)، وفي نصوص القدامى إشارات وإرهاصات تظهر إدراكهم للبنية الصغرى، والبنية الكبرى، والسبك والحبك، والتماسك، والاتساق، والإحالة، وغير ذلك من معايير النصية.

وتأسيساً على ما تقدم، ومن منطلق أهمية تلك الإرهاصات المبثوثة في تراثنا البلاغي والنقدي آثرت تناول هذا الموضوع، ووسمته بإرهاصات اللسانيات النصية عند البلاغيين القدامى: دراسة استقصائية تحليلية.

[١] موضوع البحث:

يتناول هذا البحث: إرهاصات اللسانيات النصية عند البلاغيين القدامى: دراسة تحليلية. وقد اخترت هذا الموضوع لإيماني بأن تراثنا النقدي والبلاغي يذخر بالكثير من الإشارات والإسهامات التي يقدمها المحدثون الغربيون في هذا الشأن،

ورأيت من الواجب العلمي إنصاف التراث النقدي والبلاغي عن طريق إعادة قراءة المصادر القديمة، والتنقيب عن إسهامات البلاغيين والنقاد القدامى في وضع الأسس لنظريات النص وما يتصل بها، وما تناوله علماء اللسانيات النصية من معايير لنظريات النص المختلفة في عصرنا الحاضر، ومن أبرز تلك الإسهامات ما جاء عند ابن المقفع (ت١٤٢هـ) عن صياغة الكلام وبداية فكرة النظم، والإلحاح على أهمية الموقف الكلامي، وتلاحم أجزاء الشعر والسبك عند الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، والمناسبة بين أجزاء الكلام عند ابن طباطبا العلوي(ت٣٢٢هـ)، والتمام وجودة الرصف والسبك عند أبي هلال العسكري(ت٣٩٥هـ)، والنظم والاتساق عند عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ)، والمؤاخاة بين المعاني عند ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٢٢هـ)، وتماسك الفصول عند حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ).

وتأسيسًا على ما تقدم فقد تناولتُ هذا الموضوع لما له من أهمية بالغة في الكشف عن أسس ومعايير إرهاصات النظريات النصية في تراثنا النقدي والبلاغي، وإنصاف البلاغيين والنقاد القدامى وبيان دورهم الذي بنى عليه علماء النص نظرياتهم ووضعوا معاييرهم وذاع صيتهم حول ذلك.

[٢] أسباب اختيار الموضوع وأهداف البحث:

دفعني لاختيار هذا الموضوع مايلي:

أولًا: أهمية تراثنا النقدي والبلاغي في الكشف عن منطلقات النظريات النصية.

ثانيًا: ندرة الدراسات التي اتخذت من التراث البلاغي والنقدي منطلقًا تبحث من خلاله عن إرهاصات اللسانيات النصية.

ثالثًا: تعظيم دور البلاغيين والنقاد القدامى، وبيان موسوعيتهم من خلال مصادرهم المختلفة.

رابعًا: تناوُل البلاغيين والنقاد لقضايا أساسية بنى عليها علماء اللسانيات النصية نظرياتهم ومعاييرهم.

أما الأهداف التي يبتغي البحث تحقيقها فتتمثل في:

أولًا: تحديد مفهوم اللسانيات النصية والمصطلحات ذات الصلة.

ثانيًا: الكشف عن الإسهامات والإرهاصات الأولى وبداية النشأة لنظريات لسانية نصية من خلال التراث البلاغي والنقدي.

ثالثًا: بيان المعايير المختلفة التي أظهرها القدامى وبنى عليها علماء النص نظرياتهم.

رابعًا: استقصاء وتحليل آراء البلاغيين والنقاد القدامى التي تعد منطلقات للسانيات النصية.

خامسًا: الكشف عن منهجية الطرح في المصادر القديمة، وتحليل النصوص والتعامل معها.

سادسًا: الوقوف على معايير النصية عند البلاغيين والنقاد القدامى.

سابعًا: مقارنة هذه الإشارات عند البلاغيين والنقاد القدامى بما ورد في المراجع التي أسست للمعايير النصية؛ لإظهار الفارق بينهما والتأثير والتأثر.

[٣] منهج البحث:

اتبع البحث منهجين لتحقيق أهدافه، الأول: هو المنهج الاستقرائي، حيث يستقرئ المصادر البلاغية والنقدية ذات الصلة بموضوع البحث، والثاني: المنهج الوصفي، الذي يصف ما ورد من آراء تعد من الإرهاصات الأولى للسانيات النصية، ثم أتبعت هذين المنهجين بإجراء التحليل لتلك النصوص بداية من ابن المقفع، إلى حازم القرطاجني، مرورًا بالجاحظ ، وابن طباطبا العلوي، وأبي هلال العسكري، وعبد القاهر الجرجاني، وضياء الدين ابن الأثير؛ بغية الوقوف على معايير النصية عند البلاغيين والنقاد القدامى، ثم اتَّبعت مجموعة أخرى من الإجراءات:

١ــ جمع النصوص البلاغية والنقدية القديمة، ثم تحليلها وبيان ما تحمله من إرهاصات نصية.

٢ــ تصنيف تلك النصوص وفق النظرية أو المعيار النصي، وبيان صلتها بمعايير النصية عند علماء النص.

٣ــ إثراء المسألة بالرجوع للمراجع المختلفة لبيان دور القدامى من البلاغيين والنقاد، وأيضًا الجديد عند علماء اللسانيات النصية.

[٤] الدراسات السابقة:

لم تُعن دراسة على حد اطلاعي بتناول موضوع: إرهاصات اللسانيات النصية عند البلاغيين القدامى: دراسة استقصائية تحليلية، إلاّ أن هناك دراسات لامست مسائل جزئية، وقد اطلعت منها على:

١ــ مفهوم التماسك النصي عند القدامى والمحدثين[١]، للباحث/ الطيب الغرالي قواوة، بحث منشور بمجلة علوم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، الجزائر، العدد الرابع، مارس ٢٠١٢م، من (ص١٨٦) إلى (ص ١٩٨) إذ يتناول هذا البحث مصطلح التماسك عند القدامى والمحدثين باعتباره من أهم معايير النصية في الحكم على النص، والبحث يحصر نفسه في المصطلح لدى عدد محدد من القدامى وكذلك الأمر لدى المحدثين من العرب والغرب.

٢ــ اللسانيات النصية بين الموروث اللساني العربي والدرس اللساني الغربي: مقاربة لسانية حديثة[٢]، للباحث/ زميط محمد، بحث منشور بمجلة جسور المعرفة، المجلد(٦)، العدد(١)، مارس ٢٠٢٠م، من ص(١٢٦)إلى ص(١٣٩)،

---

(١) **حول ذلك يُنظر: مفهوم التماسك النصي عند القدامى والمحدثين، الطيب الغرالي قواوة، بحث منشور بمجلة علوم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، الجزائر، العدد الرابع، مارس ٢٠١٢م. ص١٨٦ إلى ص ١٩٨.**

(٢) **حول ذلك يُنظر: اللسانيات النصية بين الموروث اللساني العربي والدرس اللساني الغربي: مقاربة لسانية حديثة، للباحث/ زميط محمد، بحث منشور بمجلة جسور المعرفة، المجلد(٦)، العدد(١)، مارس ٢٠٢٠م، من ص(١٢٦)إلى ص(١٣٩).**

وهذا البحث يهدف إلى الكشف عن بعض المصطلحات النصية مثل اللسانيات النصية، والتحليل النصي، والنص، والاتساق، والانسجام، والمناسبة، والسياق، لكنه لم يتناول القضايا التي تناولها بحثي مثل صياغة الكلام وبداية فكرة النظم عند ابن المقفع، والإلحاح على أهمية الموقف الكلامي، وتلاحم أجزاء الشعر والسبك عند الجاحظ، والمناسبة بين أجزاء الكلام عند ابن طباطبا العلوي، والتمام وجودة الرصف والسبك عند أبي هلال العسكري، والنظم والاتساق عند عبد القاهر الجرجاني، والمؤاخاة بين المعاني عند ضياء الدين ابن الأثير، وتماسك الفصول عند حازم القرطاجني.

إن كل هذه الدراسات السابقة لا تتعارض مع بحثي؛ كونه يعالج قضايا مختلفة عما طرح في تلك الدراسات، يضاف إلى ذلك أن الكشف عن إرهاصات اللسانيات النصية موضوع يحتاج للعديد من الدراسات والبحوث، نظرًا لثرائه وتشعب موضوعاته.

[٥] المادة عينة الدراسة:

مجموعة من النصوص التي ذُكرت في تراثنا البلاغي والنقدي عند كل من: ابن المقفع، والجاحظ، وابن طباطبا العلوي، وأبي هلال العسكري، وعبد القاهر الجرجاني، وضياء الدين ابن الأثير، وحازم القرطاجني.

[٦] خطة البحث:

المقدمة: الإطار العام، ويشمل:

[١] موضوع البحث. [٢] أسباب اختيار الموضوع وأهداف البحث.

[٣] منهج البحث. [٤] الدراسات السابقة.

[٥] المادة عينة الدراسة. [٦] خطة البحث.

التمهيد: اللسانيات النصية: المصطلح وتعدد المفاهيم.

المبحث الأول: صياغة الكلام وبدايات فكرة النظم عند ابن المقفع(ت١٤٢هـ).

المبحث الثاني: تلاحم أجزاء الشعر والسبك عند الجاحظ (ت ٢٥٥هـ).

المبحث الثالث: المناسبة بين أجزاء الكلام عند ابن طباطبا العلوي(ت٣٢٢هـ).

المبحث الرابع: التمام وجودة الرصف والسبك عند أبي هلال العسكري(ت٣٩٥هـ).

المبحث الخامس: النظم والاتساق عند عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ).

المبحث السادس: المؤاخاة بين المعاني عند ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٢٢هـ).

المبحث السابع: تماسك الفصول عند حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ).

الخاتمة:

أولًا: أهم النتائج.

ثانيًا: المصادر والمراجع

التمهيد: اللسانيات النصية: المصطلح وتعدد المفاهيم.

لسانيات النص، أو اللسانيات النصية من المصطلحات الحديثة التي اختلف حولها كثير من اللسانيين، إذ تعددت مفاهيمها باختلاف اتجاهات دارسيها، فكل نظر إليها من زاوية خاصة، وعرفها بطريقته، والمشكل قائم في ترجمة المصطلح، إذ تُرْجم إلى (Text Linguistics)، أو (Linguistics Of Text)، ولم يقتصر الاختلاف عند الغرب فقط، بل تعدى ذلك إلى العرب أيضًا، فمنهم من أطلق عليه: نحو النص، أو علم لغة النص، أو علم اللغة النصي، أو نظرية النص، أو لسانيات النص، أو لسانيات الخطاب(١).

ورغم الاختلاف والتعدد في مفهوم المصطلح، إلا أن هناك رابطًا يجمع هذه التعريفات، ويصهرها في بوتقة واحدة، وهذا الرابط هو كون موضوعها واحدًا وهو اللغة، وأصبح هدفها هو الوصف والتحليل، وقد عرفها براون ويول في كتابهما الموسوم بتحليل الخطاب:" اللسانيات النصية فرع من فروع اللسانيات يعنى بدراسة مميزات النص من حيث حدّه وتماسكه ومحتواه الإبلاغي(التواصلي)" (٢).

ويعرفها نعمان بوقرة بقوله:" تيار جديد جعل من النص مادته الأساسية، اصطلح عليه في البداية بنحو النص، وهو مصطلح يقابل لسانيات النص، حيث حصل نوع من الإجماع على ضرورة التغيير وفق منهجية لا تغفل الجملة، ولكنها في مقابل ذلك تعدها أكبر وحدة قابلة للتحليل اللساني، بل تنظر إليها من زاوية علاقتها ببقية الجمل الأخرى المكونة للنص إضافة إلى علاقتها كذلك بالسياق الذي أنتجت فيه وبمنتجها ومستقبلها"(٣).

---

(١) **حول ذلك يُنظر: اللسانيات النصية بين الموروث اللساني العربي والدرس اللساني الغربي: مقاربة لسانية حديثة، ص١٢٧.**

(٢) **تحليل الخطاب، ج.يول، ج.براون، ترجمة محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، النشر العلمي بجامعة الملك سعود، ١٩٩٧م، هامش ص٣٠.**

(٣) **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. دراسة معجمية، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص١٤٠.**

ويمكن القول إن اللسانيات النصية قد أفادت من كل معطيات اللسانيات الجملية، وتجاوزت قصورها؛ لأن لسانيات الجملة لم تعد كافية لكل مسائل الوصف اللغوي من حيث الدلالة والتداول والسياق الثقافي العام، وكل ذلك له دور حاسم في التواصل اللغوي، وقد أخرجت لسانيات النص علوم اللسان من مأزق الدراسات البنيوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية[١].

ومما لا يمكن نكرانه أن التراث العربي القديم يحوي كثيرًا من القضايا البلاغية والأسلوبية الحديثة، التي تساعد في فهم النصوص وتحليلها، غير أن هذه القضايا مبثوثة ومتفرقة في المصادر وهي في الغالب تفتقر للمنهج والتأصيل، وهو ما سيعرض له البحث في مباحثه.

(١) مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص. قراءة في بدايات ودواعي التأسيس والمساهمات العربية في اللسانيات النصية، المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ج١، دار كنوز المعرفة، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص٣٧٩.

المبحث الأول: صياغة الكلام وبدايات فكرة النظم عند ابن المقفع(ت١٤٢هـ).

إن أقدم إشارة في المصادر البلاغية القديمة تشير إلى صياغة الكلام والبدايات الأولى لفكرة النظم نجدها عند ابن المقفع في الأدب الصغير، يقول:" فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل وأن يقولوا قولًا بديعًا؛ فليعلم الواصفون المخبرون أن أحدهم – وإن أحسن وأبلغ – ليس زائدًا على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتًا وزبرجدًا ومرجانًا، فنظمه قلائد وسموطًا وأكاليل، ووضع كل فص موضعه، وجمع إلى كل لون شبهه وما يزيده بذلك حسنًا، فسمي بذلك صانعًا رفيقًا. وكصاغة الذهب والفضة صنعوا منها ما يعجب الناس من الحلي والآنية. وكالنحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيبة، وسلكت سبلًا جعلها الله ذللًا؛ فصار ذلك شفاء وطعامًا وشرابًا منسوبًا إليها، مذكورًا به أمرها وصنعتها، فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه أو يستحسن منه، فلا يعجبن إعجاب المخترع المبتدع؛ فإنه إنما اجتناه كما وصفنا"(١).

هذا النص فيه إشارة إلى مفهوم فكرة النظم، وشيء من مضمونها، ويعد عبدالله بن المقفع صاحب هذا النص أولَ من نُسبت إليه إشارة تتعلَّق بالنظم؛ حيث أشار إلى فكرة نظم الكلام عند البلغاء بصورةٍ عامة.

وقد أخذ البلاغيون هذا الكلام وأداروه في كتاباتهم من غير أن يشيروا إلى ابن المقفع، فقال الجاحظ:" فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"(٢)، وهنا يأتي السؤال: أين يلتقي نص ابن المقفع وما دار حوله من نقاشات مع معايير النصية؟

---

(١) **الأدب الصغير، عبد الله بن المقفع (المتوفى: ١٤٢هـ)، قرأه وعلق عليه: وائل بن حافظ بن خلف، دار ابن القيم بالإسكندرية، د.ط، د.ت.ص٢٢.**

(٢) **الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ، ٦٧/٣.**

يمكن القول إنّ النص اللغوي وحدة متلاحمة من صورته المنطوقة ونظامه الذي يحكمه، وصورته المنطوقة هي مفرداته المصوغة في الجملة بكل خصائص هذه المفردات وقوانينها الأولية الموضوعة لها، أي التي يكثر استعمالها فيها، بحيث يشيع هذا الاستعمال بين أبناء البيئة اللغوية المعيّنة، ونظامه هو الهيئة التركيبية التي توجد عليها هذه المفردات منظومة في الجملة من الفاعلية والمفعولية والظرفية والحالية، وغير هذه وتلك من الوظائف، مع مراعاة كل القوانين الخاصة بكل وظيفة على حدة، من حيث شروط ورودها الخاصة، ومن حيث قوانين ارتباط الكلمة التي تشغلها بما تنضم معه في تركيب واحد مفيد.

والتلاحم بين المفردات ووظائفها في الجملة تفاعل عقلي وصوتي في وقت واحد، أو على حد تعبير الدكتور محمد حماسة "هو تفاعل دلالي نحوي معًا لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر؛ لأنّ المفردات من غير نظام نحوي يحكمها ويربط ما بينها لا يتأتى لها اجتماع إلاَّ في التنظيم المعجمي فحسب، والتنظيم المعجمي عمل لا يقوم به المتكلم، بل يقوم به الباحث اللغوي، والنظام النحويّ – من غير مفردات تقوم به وتحقق وجوده العقلي – وعاء فارغ ولا يقوم إلاَّ في عقول أبناء اللغة، ولا يجد سبيلاً لتحققه إلاَّ في الجمل التي ينطق بها أبناء اللغة أو يكتبونها، وبينهم اتفاق جماعي عليها"(١).

وهذا يُستفاد من قول ابن المقفع: (فنظمه قلائد وسموطًا وأكاليل، ووضع كل فص موضعه، وجمع إلى كل لون شبهه وما يزيده بذلك حسنًا، فسمي بذلك صانعًا رفيقًا)، وهو بذلك يشير إلى التماسك النصي الذي يعد من معايير النصية، وأيضًا يشير إلى النظرة الكلية للنص من جهة، ومن جهة ثانية توظيفه لبعض المصطلحات التي يوظفها علماء لسانيات النص اليوم كالاتساق والتماسك أو (الالتئام) ... ويكون النظم هو مجموع العلاقات التي تربط بين الكلمات والجمل بحيث تكون كل لفظة مرهونة بما قبلها وما بعدها في انسجام تام.

---

(١) **النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د/ محمد حماسة عبد اللطيف، ط١، دار الشروق، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م. ص ١٦١، ١٦٢.**

ويتفق هذا الكلام مع تعريف محمد خطابي الاتساق بقوله: "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته" [1]، ومما تقدم بيانه نستشف أن ابن المقفع لا يبتعد عن الأفكار التي قدمها المحدثون عن التماسك، وكذلك الاتساق، لا من ناحية التسمية ولا من جهة الأفكار.

(١) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م، ص ٥.

المبحث الثاني: تلاحم أجزاء الشعر والسبك عند الجاحظ (ت ٢٥٥هـ).

جاء في كتاب البيان والتبيين للجاحظ: "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلمُ بذلك أنه أفرغ إفراغًا جيدًا، وسُبِك سبْكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان، وأما قوله: "كبعر الكبش" فإنما ذهب إلى أن بعر الكبش يقع متفرقًا غير مؤتلف ولا متجاور. وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر، تراها متفقة مُلْسًا، ولينة المعاطف سهلة؛ وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشق على اللسان وتكده. والأخرى تراها سهلة لينة، ورطبة متواتية، سلسة النظام، خفيفة على اللسان؛ حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد"(١).

وعبارة كبعر الكبش يقصد قول أبي البيداء الرياحي(٢):

وَشِعْرٍ كَبَعْرِ الكَبْشِ فَرَّقَ بَيْنَهُ لِسَانُ دَعِيٍّ فِي القَرِيْضِ دَخِيْلِ

ولأن بعر الغنم تسقط مبعثرة، مفرقة، فالجاحظ يذم الشعر المفكك الذي يفتقر إلى تلاحم أجزائه، فأجود الشعر ما كان الجزء يسلم إلى الجزء، والكلمة تفضي إلى الكلمة، والعبارة إلى العبارة حتى كأنه قطعة واحدة، فهو كالبنيان الذي تلاحمت لبناته واتحدت وحداته.

وقال سحيم بن حفص: قالت بنت الحطيئة للحطيئة:" تركت قومًا كرامًا ونزلت في بني كليب بعر الكبش". فعاتبهم بتفرق بيوتهم.

فقيل لهم: فأنشدونا بعض ما لا تتباين ألفاظه، ولا تتنافر أجزاؤه"(٣).

---

(١) **البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(١٥٠-٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة، ١٤١٨ه- ١٩٩٨م،١/٦٧.**

(٢) **انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيروانى الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ١/٢٥٧.**

(٣) **البيان والتبيين،١/٦٧.**

فقالوا: قال الثقفي[1]:

مَنْ كانَ ذَا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلامَتَهُ إنّ الذّليلَ الذي لَيْسَتْ لــهُ عَضُــدُ

تنبُو يداهُ إذا مــا قــلّ ناصــرُهُ وَيَأْنفُ الضيمَ إنْ أَثري لــهُ عــددُ

إن الجاحظ يرى أن الشعر الجيد هو الذي يجري على اللســان دون مشــقة لعذوبته وسلاسته، بحيث تتماسك أجزاؤه، وقد شبهه بالدهان الذي ينحــدر دونمــا انقطاع أو انفصال، وهذا ما يترجم اهتمام العرب بقضية السبك إذ يقول الجــاحظ: "ورأيت عامتهم – فقد طالت مشاهدتي لهم – لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيــرة، والمعاني المنتخبة، وعلى الألفاظ العذبة، والمخارج السهلة، والديباجــة الكريمــة، وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد، وعلى كل كلام له ماء ورونــق، وعلــى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم، وفتحــت للسان باب البلاغة، ودلت الأقلام على مدافق الألفاظ، وأشارت إلى حسان المعاني. ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم، وعلى ألســنة حــذاق الشعراء أظهر"[2].

وحديث الجاحظ عن ترتيب الألفاظ هو ما يعني الســبك،، وربــط بعضــها ببعض. ونجد إلحاحه على عملية السبك في حديثه عن شعر أبي نواس في قصيدته التي تحمل عنوان: لا خير في الثعلب، والتي مطلعها:

لمّا غَدَا الثّعْلَبُ مــن وِجَــارِهِ يَلتَمِسُ الكَسْبَ علــى صِــغَارِهِ

إلى أن جاء عند قول أبي نواس[3]:

فانْصَاعَ كالكَوْكَبِ في انحِدَارِهِ لَفْــتَ المُشِــيرِ مَوْهِنــاً بنَــارِهِ

---

(١) انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري تــوفي ٥٨٣ هـــ، مؤسســة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـــ، (٣٤٦/٢)، والحيوان، (٢٠/٣)

(٢) البيان والتبيين، ٢٤/٤.

(٣) ديوان أبي نواس الحسن بن هانيء، حققه وضبطه وشرحه: أحمد عبد المجيــد الغزالــي، مطبعة مصر، ١٩٥٣م، ص ٦٢٩-٦٣٠.

حتّى إِذَا أَخْصَفَ في إِحْضَارِهِ خَرَّقَ أُذْنَيــه شَــبَا أَظفــارِهِ

يقول الجاحظ في كتاب الحيوان: "وكان قد لعب بالكلاب زماناً، وعرف عنها ما لا تعرفه الأعراب وذلك موجود في شعره، وصفات الكــلاب مستقصــاة فــي أراجيزه، هذا مع جودة الطبع وجودة السبك، والحذق بالصنعة، وإن تأملت شــعره فضلته" (١).

إن شعر أبي نواس في نظر الجاحظ يتميز بجودة الطبع، وجــودة الســبك، مترابط الأجزاء، بعيد عن التكلف، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل علــى حــذق الشاعر وحنكته وقدرته الشعرية، فالجاحظ وإن تكلم عن البلاغة إنما كلامه كان عن الربط بين الأجزاء التي تشكل الكل، وهذا يؤكد أن لسانيات النص قد أخذت من كل علم بطرف، حتى شاع أن علم النص الوريث الشرعي للبلاغة.

(١) الحيوان، ٢/٢٧١.

المبحث الثالث: المناسبة بين أجزاء الكلام، وحسن التخلص عند ابن طباطبا العلوي(ت٣٢٢هـ).

في حديث ابن طباطبا عن بناء القصيدة، يرى أن الشاعر إذا أراد بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه قأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي سلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسق للشعر وترتيب لفنون القول فيه بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه على تفاوت ما بينه وبين ما قبله، فإذا كملت له المعاني، وكثرت الأبيات، وفّق بينها بأبيات تكون نظامًا لها، وسلكًا جامعًا لما تشتت منها. ثم يتأمل ما قد أداه إليه طبعه، ونتجته فكرته فيستقصي انتقاده، ويرم ما وهى منه، ويبدل بكل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية(١).

ثم يشبه هذا الشاعر في بناء قصيدته بالنقاش الذي يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه، ويشبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان، وكناظم الجوهر الذي يؤلف بين النفيس منها والثمين الرائق، ولا يشين عقود بأن يفاوت بين جواهرها في نظمها وتنسيقها، وكذلك الشاعر إذا أسس شعره على أن يأتي فيه الكلام البدوي الفصيح لم يخلط به الحضري المولد، وإذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخواتها(٢).

إن كلام ابن طباطبا يفهم منه إدراكه للتماسك والانسجام أيضًا، باعتبارهما من الركائز الأساسية لعلم النص، ويبدو ذلك واضحاً من خلال حديثه عن حسن التخلص والانتقال من موضوع إلى آخر، ووضع لذلك شروطًا، وقد جاءت هذه

---

(١) انظر: عيار الشعر، ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، الحسني العلوي، أبو الحسن (المتوفى: ٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي – القاهرة، ٧/١.

(٢) انظر: عيار الشعر، ٨/١.

الآراء متفرقة في كتابه عيار الشعر، يقول:" فإن للشعر فصولًا كفصول الرسائل، فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه – على تصرفه في فنونه – صلة لطيفة فيتخلص من الغزل إلى المديح، ومن المديح إلى الشكوى، ومن الشكوى إلى الاستماحة، ومن وصف الديار والآثار إلى وصف الفيافي والنوق، ومن وصف الرعود والبروق إلى وصف الرياض والرواد، ومن وصف الظلمان والأعيار إلى وصف الخيل والأسلحة، ومن وصف المفاوز والفيافي إلى وصف الطرد والصيد، ومن وصف الليل والنجوم إلى وصف الموارد والمياه والهواجر والآل والحرابي والجنادب، ومن الافتخار إلى اقتصاص مآثر الأسلاف، ومن الاستكانة والخضوع إلى والاستعتاب والاعتذار، ومن الإباء والاعتياص إلى الإجابة والتسمح بألطف تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله بل يكون متصلًا به وممتزجًا معه، فإذا استقصى المعنى وأحاط بالمراد الذي إليه يسوق القول بأيسر وصف وأخف لفظ لم يحتج إلى تطويله وتكريره"(١).

إن هذه الانطلاقة في تتبع حركة التخلص في الشعر تنم عن وعي ابن طباطبا وتأكيده على ضرورة التماسك النصي الذي يعد من معايير اللسانيات النصية. فلقد شبه فصول الشعر بفصول الرسائل، لكنه لم يوضح فصول الرسائل بحيث يمكن أن نحكم على تماثل فصول الشعر بها، ويرى محمد خطابي أن عدم الاهتمام هذا قد يكون راجعًا إلى السياق المعرفي الذي كتب فيه ابن طباطبا كتابه"عيار الشع"حيث لم يكن في حاجة إلى توضيح؛ لأن الأمر مألوف الاعتبار هذا التماثل مسلم به في ثقافة الكتاب والشعراء(٢).

وركز في حديثه على ضرورة وصل الكلام بعضه ببعض، ذلك أن القصيدة العربية القديمة كانت متعددة الأغراض، إن صح هذا التعبير فهي تتشكل من عدة

---

(١) عيار الشعر، ٩/١.

(٢) ينظر: لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ١٤٤ – ١٤٥.

أغراض فكان لزامًا على الشاعر أن يحسن التخلص والانتقال من فن إلى آخر بحيث تكون أجزاء القصيدة متماسكة، وإلا جاءت مفككة.

ويرى ابن طباطبا أن:"أحسن الشعر ما ينتظم فيه القول انتظامًا يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه، قائله، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقض تأليفها. فإن الشعر إذا أسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها، وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها، والأمثال السائرة الموسومة باختصارها، لم يحسن نظمه بل يجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجًا وحسنًا وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معان وصواب تأليف. ويكون خروج الشاعر من كل معنى يضيفه إلى غيره من المعاني خروجًا لطيفًا، على ما شرطناه في أول الكتاب، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغًا، كالأشعار التي استشهدنا بها في الجودة والحسن واستواء النظم، لا تناقض في معانيها، ولا وهي في مبانيها، ولا تكلف في نسجها، تقضي كل كلمة ما بعدها، ويكون ما بعدها متعلقا بها مفتقرًا إليها"(١).

ويظهر لدى ابن طباطبا إدراكه للتماسك والانسجام، الذي أطلق عليهما التأليف والتنسيق وحسن التجاور، يقول:" وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه فينسي السامع المعنى الذي يسوق القول إليه. كما أنه يحترز من ذلك في كل بيت فلا يباعد كلمة عن أختها، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها. ويتفقد كل مصراع هل يشاكل ما قبله فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر، فلا يتنبه على ذلك إلا من دق نظره

(١) عيار الشعر، ٢١٣/١.

ولطف فهمه"[١]، لقد كان كلام ابن طباطبا صريحًا فهو يؤكد على الوصل بين أجزاء القصيدة الواحدة بحيث ينتظم أولها مع آخرها عن طريق علاقات قبلية وبعدية فتشكل نسيجًا متلاحمًا.

إن انتظام المعاني واتصال الكلام بعضه ببعض في إشارة ابن طباطبا تمنح للنص مبدأ التناسب المعنوي الذي يربط بين أجزائه وتحقق له خاصية الانسجام.

كما يميز ابن طباطبا بين نوعين من الشعر مدركًا سمة الانسجام والتأليف، يقول" فمن الأشعار أشعار محكمة متقنة، أنيقة الألفاظ، حكيمة المعاني، عجيبة التأليف، إذا نقضت وجعلت نثرا لم تبطل جودة معانيها، ولم تفقد جزالة ألفاظها. ومنها أشعار مموهة مزخرفة عذبة، تروق الأسماع والأفهام إذا مرت صفحا، فإذا حصلت وانتقدت بهرجت معانيها، وزيفت ألفاظها، ومجت حلاوتها، ولم يصلح نقضها لبناء يستأنف منه؛ فبعضها كالقصور المشيدة والأبنية الوثيقة الباقية على مر الدهور، وبعضها كالخيام الموتدة التي تزعزعها الرياح، وتوهيها الأمطار، ويسرع إليها البلى، ويخشى عليها التقوض" [٢].

---

(١) عيار الشعر، ١/٢٠٩.

(٢) لسانيات النص، ص ٤٦.

المبحث الرابع: التمام وجودة الرصف والسبك عند أبي هلال العسكري(ت٣٩٥هـ).

جاء في الفصل الأول من الباب الثالث من كتاب الصناعتين في كيفية نظم الكلام والقول في فضيلة الشعر وما ينبغي استعماله في تأليفه ما يفهم منه بعض معايير النصية مثل النظرة الكلية للنص أو ما أشار إليه أبو هلال العسكري عندما ذكر بلوغ الكلام أعلى مراتب التمام عندما كان يتكلم عن أبي تمام:".. وكان البحتري يلقي من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذبًا، وكان أبو تمام لا يفعل هذا الفعل، وكان يرضى بأول خاطر فنعى عليه عيب كثير، وتخير الألفاظ، وإبدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام؛ وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته، فإن أمكن مع ذلك منظومًا من حروف سهلة المخارج كان أحسن له وأدعى للقلوب إليه، وإن اتّفق له أن يكون موقعه في الإطناب والإيجاز أليق بموقعه، وأحقّ بالمقام والحال كان جامعًا للحسن، بارعًا في الفضل؛ وإن بلغ مع ذلك أن تكون موارده تنبيك عن مصادره، وأوّله يكشف قناعَ آخره، كان قد جمع نهاية الحسن، وبلغ أعلى مراتب التمام"[(١)].

ومثاله ما أنشدنا أبو أحمد قال: أنشدنا أبو الحسن أحمد بن جعفر البرمكي، قال: أنشدنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لنفسه[(٢)]:

---

(١) كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر)، تصنيف: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ-١٩٥٢م، ص١٤١.

(٢) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان الخزاعي، وكان أميرًا، ولي الشرطة ببغداد خلافةً عن أخيه محمد بن عبد الله، ثم استقل بها بعد موت أخيه، وكان سيدًا، وإليه انتهت رياسة أهله، وهو آخر من مات منهم رئيسًا ولهم من الكتب المصنفة كتاب: "الإشارة في أخبار الشعراء"، وكتاب: "رسالة في السياسة الملوكية"، وكتاب مراسلاته لعبد الله بن المعتز، وكتاب: "البراعة والفصاحة"، وكان مترسلًا شاعرًا لطيفًا حسن المقاصد جيد السبك رقيق الحاشية مات: في شوال، سنة ثلاث مائة، وله سبع وسبعون سنة. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ٣/ ١٢٠، وانظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، (٦٢/١٤).

أشارت بأطراف البنان المُخَضَّبِ وضنّت بِمَا تَحْتَ النِقابِ المكتّبِ
وعضّت عَلَى تفّاحة فِي يَمِينِـهَا بِذِي أُشُرٍ غَذْبِ المذاقة أشـنب
وأومت بِهَا نحوي فقمتُ مبادراً إِلَيْهَا فَقَالَت هَلْ سمعْتَ بأشْعَبِ

يقول أبو هلال العسكري عن هذا الشعر:" فهذا أجود شعر سبكًا وأشده التئامًا وأكثر طلاوة وماء، وينبغي أن تجعل كلامك مشتبهًا أوله بآخره، ومطابقًا هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافه، ولا تتنافر أطراره(أي أطرافه)، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها، ومقرونة بلفقتها؛ فإن تنافر الألفاظ من أكبر عيوب الكلام؛ ولا يكون ما بين ذلك حشوٌ يُسْتغنى عنه ويتم الكلام دونه"[١]، ومثال ذلك من الكلام المتلائم الأجزاء، غير المتنافر الأطرار قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب:

فَأُقْسِمُ يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّهَاكَ إِذاً نَبَّهَا مِنْكَ أَمْراً عُضَالا
إِذاً نَبَّهَا لَيْثَ عِرِّيسَـةٍ مُفِيْتًا مُفِيْدًا نُفُوْسًا وَمَالَا
وَخَرْقٍ تَجَاوَزْتَ مَجْهُوْلَهُ بِوَجْنَاءَ لَا تَتَشَكّى الكَلَالَا
فَكُنْتَ النّهَارَ بِهَا شَمْسَهُ وَكُنْتَ دُجَى اللّيْلِ فِيْهَا الهِلَالَا

جاء في الدر الفريد وبيت القصيد تعليقًا على هذه الأبيات:" فانظر إلى ديباجة هذا الكلام ما أصفاها، وإلى تقاسيمه ما أوفاها، وانظر قولها مفيتًا مفيدًا، ووصفها إياه بالشمس بالنهار، وبالهلال في الليل، تجد المطمع الممتنع، القريب البعيد"[٢].

وتناول أبو هلال العسكري في الباب الرابع من كتاب الصناعتين: في البيان من حسن النظم وجودة الرصف والسبك وخلاف ذلك، حيث يرى أن المنظوم الجيد يشبه العقد المتناسق، وأن الكلام كلما كان حسن الرصف والتركيب كان أكثر جودة، ويقوم الرصف عنده على الاستعمال اللغوي الصحيح فلا يقدم ما من حقه التأخير،

---

(١) كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر)، ص١٤٢.

(٢) الدر الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩هـ-٧١٠ هـ)، تحقيق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، ١/ ٢٥٧.

ولا يؤخر ما من حقه التقديم، وعلى الألفاظ أن توضع مواضعها استنادًا إلى أخواتها، يقول:" أجناس الكلام المنظوم ثلاثة: الرسائل، والخطب، والشّعر، وجميعها تحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب، وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحًا وشرحًا، ومع سوء التأليف ورداءة الرّصف والتركيب شعبة من التّعمية، فإذا كان المعنى سبيّا، ووصف الكلام رديّا لم يوجد له قبول، ولم تظهر عليه طلاوة. وإذا كان المعنى وسطًا، ورصف الكلام جيّدًا كان أحسن موقعًا، وأطيب مستمعًا؛ فهو بمنزلة العقد إذا جُعِل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعًا في المرأى وإن لم يكن مرتفعًا جليلًا، وإن اختلّ نظمه فضمّت الحبّة منه إلى ما لا يليق بها اقتحمته العين وإن كان فائقًا ثمينًا، وحسن الرّصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكّن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير، والحذف والزيادة إلا حذفًا لا يفسد الكلام، ولا يعمّى المعنى؛ وتضمّ كل لفظة منها إلى شكلها، وتضاف إلى لِفْقِها، وسوء الرّصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها"(١).

إن أبا هلال العسكري يرى أن حسن السبك ودقة النظم يزيد من وضوح المعنى، ويكون ذلك بوضع الألفاظ موضعها، كما ترتب بحسب أولويتها بحيث لا يكون الأول إلا الأول والثاني هو التالي، ثم إن الحشو والزيادة في المواضع التي لا يفيد فيها الحشو والحذف يخل بالمعنى ويفسد الكلام، إذا يعد السبك عنده من أهم شروط تمام النظم ووضوح المعنى.

إن كلام أبي هلال ينبيء عن وعيه بمفهوم التماسك النصي التي تلائم بين أجزاء الكلام وتجعله يبلغ أعلى مراتب الحسن والكمال.

(١) كتاب الصناعتين، ص١٦١.

المبحث الخامس: النظم والاتساق عند عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ):

لقد نظر عبد القاهر إلى النص القرآني على أنه بنية متكاملة، وذلك في حديثه عن الكلام في إعجاز القرآن، يقول:" وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرًا عشرًا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شانها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقًا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظامًا والتئامًا، وإتقانًا وإحكامًا"(١).

فهو بهذا يشير إلى النظرة الكلية للنص من جهة، ومن جهة ثانية توظيفه لبعض المصطلحات التي يوظفها علماء لسانيات النص اليوم كالاتساق والتماسك أو (الالتئام) ... ويكون النظم هو مجموع العلاقات التي تربط بين الكلمات والجمل بحيث تكون كل لفظة مرهونة بما قبلها وما بعدها في انسجام تام. ولم تكن نظرية النظم قد خص بها النص القرآني فحسب، بل ما كان من شعر العرب أيضاً كأشعار المتنبي والبحتري وأبي تمام وابن المعتز وأبي العلاء المعري وغيرهم.

ويشير إلى أهمية التماسك في مقاربة النصوص ويقترب من الممارسة النصية، فمن المباديء التي يعتمدها في قراءته للنصوص شعرية كانت أم نثرية:

١- أهمية التماسك في النص على المستوى الأفقي أو ما يعرف بالاتساق.

٢- لا يمكن إغفال جزء من أجزاء النص عند معالجة غيره، فالأجزاء لا تعرف إلا بالكل الذي يجمعها، يقول:" واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علمًا لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس"(٢) .

---

(١) **دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي (المتوفى: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ٣٩/١.**

(٢) **دلائل الإعجاز في علم المعاني، ٥٥/١.**

٣- وصف النص بالتماسك في أجزائه جميعها إذ لا فرق هنا بين عمدة وفضلة، فالكل يسهم في صياغة الرسالة(١).

إن مثل هذه الآراء وإن كانت لا ترقى إلى مستوى المناهج الحديثة بشكل من الأشكال فإنها تبين وبصورة واضحة اهتمام القدامى بالنص انطلاقًا من النص القرآني الذي يعد القدوة والغاية في البلاغة والإعجاز، وكذلك النص الشعري الذي كان ديوان العرب وسجل أخبارهم وأيامهم وأنسابهم.

والملاحظ أن عبد القاهر يلتقي مع اللسانيين المعاصرين الذين يعتبرون النص الأدبي مدونة أو نظامًا، وأن كل شيء في هذا النظام يأتي مترابطًا، ولا يمكن لعنصر أن يشذ بل يذوب كل جزء في باقي الأجزاء، وذلك بتوظيفه لبعض المصطلحات: كالتأليف والترتيب والتركيب والنظام والنسق ... وطبق ذلك على الشعر والنثر (٢).

إن نظرة عبد القاهر إلى النص القرآني على أنه بنية متكاملة تقرب من الأذهان اتجاه اللسانيات النصية الذي يهتم في المقام الأول بأوجه الترابط التي ترتكز على النص بوصفه كُلّاً، أو بالوحدات الكبرى للنص، فعن طريق مفهوم (البنية الكبرى) استطاع علماء النص مقاومة الفكرة الشائعة عن أن التماسك النصيّ يتحدد على مستوى علاقات الترابط بين المتتاليات والجمل فحسب؛ لأن هذا المستوى الأخير لا يُقدِّم سوى الأبنية الصغرى، وتظل البنية الكبرى هي التمثيل الكليّ الذي يحدد معنى النص باعتباره عملاً كُليّاً فريداً (٣).

---

(١) الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٩، ص ٣٧- ٣٨.

(٢) ينظر: الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني- دراسة مقارنة، محمد عباس، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٦٦- ٦٧.

(٣) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، الطبعة الأولى، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ١٩٩٧م، ص١٢٦.

وليس القول بـ(البنية الكلية) يلغي (البنية الصغرى) التي تُعدّ وحدة بناء النص؛ إذ إن (كلية) النص تستدعي الأجزاء التي يتكون منها ذاك الكل (البنية المغلقة). ومعنى ذلك بعبارة أخرى أنه ما دامت الجملة أعلى وحدة تهتم بها اللسانيات النظامية، فإن النص مكون من عدة جمل مترابطة فيما بينها، ومن خلال عملية الترابط هذه تتشكل البنية الكلية التي تنتظم داخلها كل المكونات والعناصر. ويستتبع الحديثُ عن البنية الكلية حديثاً آخر عما يمكن تسميته بـ(التنظيم النصيّ) الذي يُعدّ السمة الأساسية التي تحكم مفهوم (البنية الكلية)، فكل التفكير في النص والخطاب من خلال نظريات تحليل الخطاب أو لسانيات النص أو مختلف العلوم الأخرى التي اهتمت بالنص، هو بشكل أو بآخر يبحث في (التنظيم النصيّ) بوصفه قطب الرحى، وإن تعددت أشكال البحث فيه وصوره واختلفت باختلاف التصورات المنطلق منها، أو الإجراءات المقدمة لوصفه وتأويله، فتناول (التنظيم النصيّ) يضمن الإمساك بـ(كلية) الموضوع المبحوث فيه: (النص) [١].

ولعل (رولان بارت) يُلمح إلى هذه البنية العامة للنص، ولكن من طَرْف خفيّ في قوله: "الخطاب ليس جمعًا من الجمل، إنه هو نفسه، ولو نستطيع لقلنا: إنه جملة كبيرة"[٢].

وقد ركز العالم الهولندي (فان دايك) على مظهرين أساسيين من تحليل الخطاب، أولهما: مراعاة علائق الانسجام الخطيّ الموجود بين الجمل، من خلال القيام بتفصيل القول في آليات الانسجام الخطيّ بالاعتماد على عدة علائق، مثل: المطابقة، والتداخل، وعلاقة الجزء بالكل. وثانيهما: (البنية الكبرى) أو مدار

---

(١) ينظر: الترابط النصي والخطاب الروائي العربي، سعيد يقطين، جامعة البحرين، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٨ / ١٩، ٢٠١٠م، ص١٧٨.

(٢) هسهسة اللغة، رولان بارت ترجمة: منذر عياشي، الطبعة الأولى، حلب، مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٩م، ص٢٨.

الحديث؛ الذي يعني به تكثيف نص طويل في كلمة أو تركيب بالاعتماد على المعرفة اللغوية وعلى معرفة العالم وعلى معرفة السياق(١).

فهنا نجد فان دايك يستخدم مصطلح (البنية الكبرى) ليطلقه على أبنية النص العامة؛ من أجل التمييز بينها وبين (البنية الصغرى) التي يطلقها على أبنية الجمل والتتابعات في النصوص، ويذهب (فان دايك) إلى أن "الأمر الجديد والمثير للاهتمام هو إدخال مفهوم (البنية الكبرى)، وهو مفهوم لم يكن معروفاً من قبل في أيّ شكل من أشكال نحو الجملة. والفكرة الأساسية في البنى الكبرى هي أن العلاقات داخل النصوص لا تقتصر على العلاقات الضيّقة على مستوى البنى الصغرى، وهي العلاقات بين الجمل المتتابعة، بل إنها تمتد لتشمل البنى الكلية التي تعطي لتلك النصوص ترابطها وتنظيمها العامين"(٢).

والأبنية الكبرى لدى فان دايك لا يبدأ بها التحليل، وإنما يبدأ في إطار هذا المنهج من الأبنية الصغرى، أو التراكيب المتشكلة في جمل، أو متواليات جملية تؤلف نصاً معيناً، وبينها علاقات ربط نحوي، وهو ما أطلق عليه: (التماسك الجزئي)، ثم ينتقل إلى الأبنية الكبرى، وهي تصورات دلالية – كما سبق – يتجمع تحتها كمّ غير محدد من الأبنية الصغرى، ويناط إلى المحلل تحديدها، وتحديد أشكال التماسك الكلي، ويؤكد (فان دايك) في مواضع مختلفة من عمله الأساسي (علم النص) على قيمة أبنية النص ومستوياته والحركة الدينامية أثناء عملية الانتقال بينها، وصور التفاعل الناتجة عن تلك الحركة، بحيث انتهى إلى أن تحليل النصوص يعتمد أساساً على رصد أوجه الربط والترابط والانسجام والتفاعل بين

---

(١) التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية)، محمد مفتاح، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م، ص٣٨.

(٢) من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي (سيرة ذاتية أكاديمية موجزة)، فان دايك، تون إيه ترجمة: أحمد صديق الواحي، مجلة النقد الأدبي فصول (ملف العدد: تحليل الخطاب: رهانات وآفاق)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد٧٧، ٢٠١٠م، ص٢١.

الأبنية الصغرى الجزئية والبنية الكبرى الكلية (أو الأبنية الكبرى) التي تجمعها في هيكل تجريدي منتظم(١).

وإجرائيًا قدم الجرجاني في معرض حديثه عن نظرية النظم أدوات إجرائية صالحة لأن توظف في قراءة أي نص حتى لو كان متأخرًا، فقد عالج قضايا في كثير من النصوص لها علاقة بهذه المفاهيم الحديثة، والتقاءات بالغة الأهمية مع الأفكار التي يقدمها المحدثون في الدراسات النصية، وسنحاول في هذا المعيار أن نشير إلى هذا التقاطع بين ما جاء به الجرجاني وما جاءت به الدراسات اللسانية النصية لنكشف عن توجه الجرجاني في قراءة النص بأدوات كفيلة فعلاً بالكشف عن جماليات النص (٢).

فقد ورد لفظ (الاتساق)cohesion في دلائل الإعجاز مرتين، الأولى: في قوله: "لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب"(٣)، **والثانية:** في قوله:" بل وجدوا اتساقًا بهر العقول"(٤)، ويتكرر لفظ (السبك) بالتعريف في ثنايا الكتاب أكثر من مرة في قوله:" ورأيتَ عامتَهم، فقد طالَتْ مُشاهَدتي لَهُم وهُم لا يَقفونَ إلاَّ على الألفاظِ المتخيَّرةِ، والمعاني المنتخَبة، والمخَارِجِ السهلةِ، والديباجةِ الكريمةِ، وعلى الطبعِ المتمكِّن، وعلى السَّبْك الجيِّد، وعلى كلِّ كلامٍ له ماء ورونق"(٥)، وقوله أيضًا: "والمعاني مطروحةٌ في الطريق يَعْرِفُها العجميُّ والعربيُّ، والقرويُّ والبدويُّ، وإنما

---

(١) يُنظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، تون إيه، ترجمة: سعيد حسن بحيري، الطبعة الأولى، القاهرة، دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١م، ص٧٤ – ٩٧، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، ص٧٥، ١٣٠.

(٢) ينظر: النقد والإعجاز، محمد تحريشي: دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ٢٠٠٤م، ص ١٩١-١٩٢.

(٣) دلائل الإعجاز، ١/٤٦.

(٤) دلائل الإعجاز، ١/ ٣٩.

(٥) دلائل الإعجاز، ١/ ٢٥١.

الشأنُ في إقامةِ الوزنِ وتَخيّر اللفظِ، وسهولَة المَخْرج، وصحَّةِ الطَّبْعِ، وكَثْرةِ الماءِ، وجودةِ السَّبْك، وإنما الشِّعرُ صياغةٌ وضربٌ من التصوير" [١]، وفي قول آخر: "قد علم أن المعارض للكلام معارض له من الجهة التي منها يوصف بأنه فصيح وبليغ ومتخير اللفظ، جيد السبك" [٢] وفي قول آخر: "ويقرؤون في كتب البلغاء ضروب كلام قد وصفوا (اللفظ) فيها بأوصاف يعلم ضرورة أنها لا ترجع إليه من حيث هو لفظ .... وإنه جيد السباك صحيح الطابع"[٣]، وما يجب التنبيه إليه أن اللفظتين يوردهما مقرونتين بالفصاحة، أو اللفظ، أو الإعجاز، مما يبين أن الاتساق أكثر ما يكون في باب الفصاحة، والتي يمثلها المظهر السطحي، الذي يتمثل في ظاهر اللفظ وهو ما يتفق المحدثون فيه مع الجرجاني.

ويتحدث الجرجاني عن الاتساق وهو قائم في ذهنه أنه ترابط يجري في سطح النص من خلال حديثه عن الفصاحة، التي يجعلها خاصية من خصائص المنتج للنص الخطابي (المتكلم)، والمتمثل في المظهر السطحي له (المسموع)، ذلك ما يعبر عنه فيقول: "وكنا قد اجتمعنا على أن (الفصاحة) فيما نحن فيه، عبارة عن مزية هي بالمتكلم البتة، وجب أن نعلم قطعًا وضرورة أنهم وإن كانوا قد جعلوا الفصاحة في ظاهر الاستعمال من صفة اللفظ"[٤] والفصاحة عند الجرجاني: "لا تكون في أفراد الكلمات، وأنها إنما تكون فيها إذا ضم بعضها إلى بعض"[٥]، وصارت كلامًا مفيدًا لأن أول ما نراعيه في إنتاج النص (الكلام)، ترتيبه وفق أعراف لغوية، وهذا ما لم يغب عن ذهن الجرجاني في قوله: "لأنه لا يكون متكلماً

---

(١) دلائل الإعجاز، ١/ ٢٥٦.

(٢) دلائل الإعجاز، ١/ ٢٥٩.

(٣) دلائل الإعجاز، ١/ ٤٥٦.

(٤) دلائل الإعجاز، ١/ ٤٠٢.

(٥) دلائل الإعجاز، ١/ ٤٦٦.

حتى يستعمل أوضاع لغة على ما وضعت عليه"[١]. إذ لا يصح أن يكون معنى الضم "النطق باللفظة بعد اللفظة، من غير اتصال يكون بين معنييهما" [٢].

إن عبد القاهر الجرجاني قد اقترب من إدراك مفهوم الاتساق كما يُعرِّفه (هاليداي) و(رقية حسن)، بأنه: مجموع الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة. وهو لديهما ذو طبيعة دلالية، قوامه العلاقات المعنوية الموجودة في النص، وهو في الآن نفسه ما يكون به النص نصًا. ويكون الاتساق عندما يعتمد تأويل جزء من أجزاء النص على تأويل عنصر آخر منه، فلا يتسنَّى الأول إلا بالثاني، وبهذا يكون الاتساق جزءًا من نظام اللغة، والظواهر المُحقِّقة له في مستوى النص هي من حيث طبيعتها الظواهر نفسها التي تعمل داخل الجملة الواحدة (من حذف، وإضمار، وتعريف، وإشارة، واستبدال معجمي). مع الأخذ بعين الاعتبار أن مثل هذه الظواهر لا تُعتبر ذات دور اتساقي عندما تجري في حدود الجملة الواحدة، ويُناط بها مثل هذا الدور عندما تتجاوز حدود الجملة الواحدة، ويرجع ذلك إلى أن الظاهرة في حالة جريانها داخل الجملة تكون خاضعة لضغوط نظامية، وفي حالة تجاوزها تلك الحدود فلا تخضع لمثل تلك القيود، وتخلص لتحقيق الاتساق العام[٣].

ويتفق هذا الكلام مع تعريف محمد خطابي الاتساق بقوله: "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته" [٤]، ومما تقدم بيانه

---

(١) دلائل الإعجاز، ١/ ٤٠٢.

(٢) دلائل الإعجاز، ١/ ٣٩٤.

(٣) يُنظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للتوزيع، ٢٠٠١م، ج١، ص١٢٤، والنص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨م، ص١٦٥.

(٤) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٥.

نستشف أن الجرجاني لا يبتعد عن الأفكار التي قدمها المحدثون عن الاتساق، لا من ناحية التسمية ولا من جهة الأفكار.

وقد تكرر لفظ (إحالة) (Reference)في دلائل الإعجاز، غير أن الجرجاني لم يخصها بباب أو فصل، كما هو الحال مع الفصل والوصل، ويورد الجرجاني لفظ الإحالة متعلقة أكثر بالفصاحة والإعجاز في قوله: "وأن يكون غاية ما لصاحبك منك أن تحيله على نفسه"(١)، ويقول أيضاً: "وإن كنا في زمان هو على ما هو عليه من إحالة الأمور عن جهاتها"(٢)، ويقول: "إذا كان المعنى والعلة في كونه معجزاً خفة اللفظ وسهولته فينبغي أن يكون مع إحالة المعنى معجزاً" (٣)، يقول: " فهذا ونحْوُه على أنكَ قدَّرْتَ إنساناً هذه صفتُه وهذا شأْنُه، وأَحلْتَ السامعَ على من يَعِنُّ في الوهم، دون أن يكونَ قد عرفَ رجلًا بهذه الصفةِ فأعلمتَه أن المستحِقَّ لاسمِ الأُخوَّة هو ذلك الذي عَرَفه، حتى كأنك قلتَ:"أخوك زيدٌ الذي عرفتَ أنكَ إنْ تدعُه لملمة يحبك" (٤).

وهذا الذي ذكره عبد القاهر يشير إلى الإحالة الدلالية وهي التي تعني العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يُدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص(٥).

ومما لاشك فيه أن مفهوم الإحالة، كان قائمًا في ذهنه، ومنتبهًا إلى دورها، بالاختصار عما تحيل إليه، وبما تفيده العناصر الإحالية من تفسير اللبس، والهروب من رتابة الأسلوب. ومع ذلك فقد عرض لها عرضاً سريعًا، يقول في ذلك: "وذلك أنك إذا أعدت ذكر زيد فجئت بضميره المنفصل المرفوع، كان بمنزلة أن تعيد اسمه صريحًا فتقول: جاءني زيد وزيد يسرع"(٦).

---

(١) دلائل الإعجاز، ١/ ٤٢.

(٢) دلائل الإعجاز، ١/ ٣٣.

(٣) دلائل الإعجاز، ١/ ٥٢٠.

(٤) دلائل الإعجاز، ١/ ١٨٥.

(٥) يُنظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ص٣٢٠.

(٦) دلائل الإعجاز، ١/٢١٥.

ومن المفيد أن نقول إن المثال الذي ذكره عبد القاهر الجرجاني يشبه المثال الذي ذكرته رقية حسن، وهو:" اغسل، وانتزع نوى ست تفاحات، ضعها في طبق مقاوم للنار"، وقد علقت رقية حسن على هذا المثال بالقول" فالضمير في (ضعها) هو الرابط الذي يضم الجملة الثانية إلى الأولى في وحدة تفيد العلم بطلب معين. وإذا وضع المتكلم كلمة(تفاحات) بدلًا من الضمير، فإن الرابط هنا هو تكرار كلمة(تفاحات) عوضًا عنه"(١).

وقد فصل محمد خطابي القول حول ذلك بقوله:" غني عن البيان أن الضمير هاء في الجملة الثانية يحيل قبليًا إلى (ست تفاحات) في الجملة الأولى، وما جعل الجملتين متسقتين هو وظيفة الإحالة القبلية للضمير (هاء) بحيث تؤولهما ككل، وبناء عليه فإن الجملتين تشكلان نصًا، أو بالأحرى جزءًا من نفس النص، فعلاقة الاتساق القائمة بين الضمير (هاء) وبين(ست تفاحات) هي التي هيأت النصية، على أن الاتساق في هذا المثال، أو في غيره، منجز بوجود العنصرين: المحيل والمحال إليه ، وليس بوجود أحدهما فحسب، إن الوسيلة التي تم بواسطتها الاتساق والتي هيأت النصية في نفس الآن، هي تحاولية العنصرين(هاء)، و(ست تفاحات)، والمقصود بذلك أنهما يحيلان إلى نفس الشيء، ومن ثم تعتبر إحالتهما متطابقة"(٢).

والإحالة عند الجرجاني لا يقتصر دورها على الربط فقط، فهي من الأدوات التي يؤدي استخدامها إلى تحسين الكلام (٣)، كما مثل لذلك في أبيات البحتري:

بَلَوْنا ضَرائبَ مَنْ قد نَرى فَما إنْ رأَينا لِفتح ضَريبا
هُوَ المرءُ أَبْدتْ له الحادِثاتُ عزماً وشيكاً ورأياً صليباً (٤)

---

(1) Hassan,Ruqaia,Grammatical Cohesion in spoken and written english London. 1968.p20.

(٢) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص ١٤.

(٣) انظر: في اللسانيات ونحو النص، د/ إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م، ص٢٢٨.

(٤) دلائل الإعجاز، ١/ ٨٥.

فتوظيف الضمير في أول البيت الثاني زاد المعنى شيئًا من الحسن، يقول الجرجاني:" فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك، ووجدت لها اهتزازًا في نفسك، فعد فانظر في السبب واستقص في النظر، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدم وأخر، وعرف ونكر، وحذف وأضمر، وأعاد وكرر، وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها "علم النحو"، فأصاب في ذلك كله، ثم لطف موضع صوابه، وأتى مأتى يوجب الفضيلة. أفلا ترى أن أول شيء يروقك منها قوله:" هو المرء أبدت لها الحادثات" ثم قوله:" تنقل في خلقي سؤدد" بتنكير "السؤدد" وإضافة "الخلقين" (١).

ونلاحظ أن الجرجاني قد ذكر أمورًا تتعلق بالتحليل النصي، وأولها النظرة الكلية باعتبار النص الوحدة الكبرى في التحليل، وذكر مصطلح" الالتئام"، وهو ما يقابل التماسك، ولم يكتف بذلك، بل قرّر في تساؤله، أن هذا الإعجاز "لما بين الألفاظ من الاتساق العجيب"(٢)، وهو بهذا يشير إلى التماسك الشكلي والتماسك الدلالي، يقول:"واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علمًا لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يُعلَّق بعضها ببعض، ويُبْنَى بعضها على بعض، وتُجْعَل هذه بسببٍ من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحدٍ من الناس"(٣).

وعلى أية حال – فحديث عبد القاهر – يؤكد القول بوجود إسهامات قيمة والتقاءات بالغة الأهمية مع الأفكار التي يقدمها المحدثون الغربيون في مجال اللسانيات النصية، تقول الدكتورة إلهام أبو غزالة :" لعل أهم الدراسات المنهجية المتصلة بعلم لغة النص عند القدماء، هي التي نجدها لدى عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، ونقصد بها نظرية النظم، التي تدور في أكثرها حول معيار التضام"(٤) .

---

(١) دلائل الإعجاز،١/ ٨٥.

(٢) دلائل الإعجاز ، ص ٤٦.

(٣) دلائل الإعجاز ، ص ٥٥.

(٤) مدخل إلى علم لغة النص"تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر"، د/ إلهام أبو غزالة وعلى خليل حمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م، ص١٧.

المبحث السادس: المؤاخاة بين المعاني، والمعايير النصية عند ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٢٢هـ).

تحدث ضياء الدين بن الأثير(ت ٦٣٧هـ) عن المؤآخاة بين المعاني، يقول:" أما المؤاخاة بين المعاني فهو أن يذكر المعنى مع أخيه، لا مع الأجنبي، مثاله أن تذكر وصفًا من الأوصاف وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به، فإن ذكرته مع ما يبعد منه كان ذلك قدحًا في الصناعة وإن كان جائزًا"(١).

ويعد ابن الأثير من الذين أبدعوا في الكلام عن فن التأليف وفن صناعة الكلام، يقول ابن الأثير في فصل في أركان الكتابة: "اعلم أن للكتابة شرائط وأركانًا ... أن يكون الدعاء المودع في صدر الكتاب مشتقًا من المعنى الذي بني عليه الكتاب ... وكثيرًا ما تجده في مكاتباتي التي أنشأتها، فإني قصدته فيها وتوخيته ... أن يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطة؛ لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض، ولا تكون مقتضبة ... أن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلولقة بكثرة الاستعمال ... أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكًا غريبًا، يظن السامع أنها غير ما في أيدي الناس، وهي مما في أيدي الناس، وهناك معترك الفصاحة التي تظهر فيه الخواطر براعتها، والأقلام شجاعتها " ... إلى قوله: "وأن لا يخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم والأخبار النبوية" (٢).

هذا النص يشير إلى النظرية النصية، إذ يقول: "الدعاء المودع في صدر الكتاب مشتقة من المعنى الذي بني عليه الكتاب" و"خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطة" و"مسبوكة سبكًا غريبًا" و"مما في أيدي الناس"؛ إذ تثير هذه العبارات وغيرها قضايا لسانية عديدة، لعل مجملها مرتبط بالنص، أي بلسانيات النص وهي

---

(١) المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)، قدمه وعلق عليه الدكتور/ أحمد الحوفي والدكتور/ بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ط، د.ت ، القاهرة ، ١٥٤/٣.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٩٦/١-٩٨.

القصد في العبارة الأولى، والتناص في الثانية، والاتساق في الثالثة، وكأن ابن الأثير قد جعل من النص تفاعلًا معرفيًا قبل أن يكون بنية لغوية، تندمج فيه دينامية الاستجابة المرئية في طبقاتها السطحية ضمن ما تحتويه من الموجود الملموس، مع روح التأمل الداخلي، قصد إدراك مخيلاته المخفية، ليتقاطع – بذلك – مع محاولات لسانية نصية معاصرة حاولت استجلاب أسرار النص، وكشف مستوى التناغم فيه، مع ورود منعرجات احتمالية في فهمه وتأويله، تتفق فيه الذات مع الآخر وفق مباديء مشتركة تمثلها البراعة، بمصطلح ابن الأثير؛ لأن الكلمات تكتسب سماتها من موقعها في سياقها اللغوي ومقاصدها مستثمرة ما يمكن أن يتميز به الكلام من خصائص محدودة مرتبة ارتباطًا وثيقًا بالمؤشرات السياقية والاتساقية، فلكل كلمة مجال من التأثيرات الممكنة يختلف طبقًا للسياق والقصد والكفاءة اللغوية، وأخيرًا لحسن النظم والترتيب في إخراج ذلك النص، وكلها أمور تعود إلى ما أسمته لسانيات النص بالبنية الكلية أو موضوع الخطاب، باعتبارها الموضوع الذي "يؤثر في تشكيل البنية على نحو معين، فهو الذي يستدعي استخدام كلمات ذات طابع خاص، وخلق مجاورات ومحاورات بين الألفاظ وتشكيل الموسيقى والصور" (١).

ويقول أيضًا:"اعلم أنه يحتاج صاحب هذه الصناعة في تأليفه إلى ثلاثة أشياء: الأول: منها اختيار الألفاظ المفردة، وحكم ذلك حكم اللآلئ المبددة، فإنها تتخير وتنتقي قبل النظم، الثاني: نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها، لئلا يجيء الكلام قلقًا نافرًا عن مواضعه، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها. الثالث: الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه، وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فتارة يجعل إكليلًا على الرأس، وتارة يجعل قلادة في العنق، وتارة يجعل شنقًا في الأذن، ولكل موضع من

---

(١) ينظر: التحليل اللغوي للنص – مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٧-١٩.

هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه ... وهي أمور لا يدركها إلا من دق فهمه وجل نظره" (١).

في هذا النص قام ابن الأثير بتلخيص نظريته حول صناعة الكلام، أي ما يعرف في لسانيات النص بنظرية إنتاج النص- في رص هندسي ورصف للبنيات النصية أفقيًا وعموديًا مع مراعاة انسجام الأجزاء وتناسقها واتساقها لتحقيق البنية في الصورة الهندسية المرجوة، التي اختارها الكاتب، طبقًا للصورة المثالية، التي ارتسمت في ذهنه قبل الشروع في الكلام (٢)، ذلك لأن المفردات اللغوية لا تمثل إلا ناحية جامدة هامدة من تلك اللغة، فإذا نظمت ورتبت ذلك الترتيب المعين، سرت فيها الحياة، وعبرت عن مكنون الفكر، وما يدور في الأذهان. وليست اللغة - في حقيقة أمرها- إلا نظامًا من الكلمات التي ارتبط بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا، تحتمه قوانين معينة للغة (٣)، وبه تتحقق مطابقة الكلام لسياقه، من حيث إفادته المعاني الثواني، والتي هي الأغراض المقصودة للمتكلم، ما يجعل كلامه مشتملًا على تلك اللطائف والخصوصيات التي بها يطابق سياق الحال، وهي قضايا تمتد إلى مجالات متنوعة غيرها، مثل: علم الاتصال، علم الاجتماع، نظرية التعامل والتداول، علم النفعية أو المنهج العملي، أو المناهج التجريبية في البحث الاجتماعي، في اللسانيات المعاصرة، التي تخضع لها كل ما تحتاجه في سبيل تحقيق الغاية، ألا وهي فهم النص والوقوف على معانيه ومقاصده.

وفي نص آخر يقول ابن الأثير: "اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة، وقد قيل: ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم، حتى قيل: كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه فيقول: فلان النحوي، وفلان الفقيه،

---

(١) ابن الأثير، المثل السائر، ١/١٦٣-١٦٤.

(٢) ينظر: المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، محمد الصغير بناني، دار الحكمة، الجزائر، ٢٠٠١م. ص ٣٥، ٣٩.

(٣) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م، ص ٢٩٥.

وفلان المتكلم، ولا يسوغ له أن ينسب نفسه إلى الكتابة فيقول فلان الكاتب، وذلك لما يفتقر إليه من الخوض في كل فن، وملاذ هذا كله الطبع، فانظر أيها المتأمل إلى هذا التفاوت في الصناعة الواحدة من الكلام المنثور ومن أجل ذلك قيل: شيئان لا نهاية لهما: البيان والجمال" [١]، فصناعة الكلام / الكتابة في مواضع أخرى صناعة لم ترتبط بأي علم ولا عالم، ما تحتاجه هو الآلات الكثيرة والتي يتحكم فيها الطبع إلى غاية البيان والجمال، أي الإثارة والتأثير لتتحقق قوة النص وشعرية النص، ولعل في سبيل كل ذلك يضع ابن الأثير ثمانية أنواع من الآلات كشرط لتحقق فن الكتابة، أو "صناعة الكلام"[٢].

لقد أوجب ابن الأثير على ناظم الكلام أن يمعن النظر في علوم البلاغة، حتى يستطيع معرفة محاسن اللفظ مفردًا ومركبًا، ويحيط بما يتفرع من أصول النقد الذي منه البديع الذي هو رقوم الكلام، ونتائج مقدمات الإفهام، وليجعل عمدته على كتاب الله العزيز، وليميز إعجازه أدق تمييز، فإنه البحر الذي لا تفنى عجائبه ولا يظمأ فيه راكبه، منه استخرجت درر المحاسن، واستنبطت عيون المعاني، وعرف كنه البلاغة وتحقق سر الفصاحة، ولما خصه الله به من جودة سبك وحسن الرصف وبراعة التراكيب ولطف الإيجاز، وعذوبة الألفاظ، وجزالتها وسلاسة المعاني ورشاقتها [٣].

إن النص من وجهة نظر ابن الأثير ليس نظامًا من الوحدات اللغوية التي تستهدف الفهم فحسب، وإنما هو نظام ذو وظيفة تأثيرية، وبهذا التزاوج وآلياته، يتميز جيد الكلام من رديئه، كون العلاقات التي تربط بين مفردات الكلام من ناحية، وبنيتها البيئية الاجتماعية النفسية، من ناحية ثانية، قد تشكل سياقًا جديدًا مغايرًا، يعود برمته إلى المتكلم، والنسق والنص والقصد والقارئ، ليقرأ قول ابن الأثير عن فن تأليف الكلام برؤية لسانية نصية.

---

(١) المثل السائر، ١/٣٨.

(٢) ينظر: المثل السائر، ١/٤٠.

(٣) حول ذلك ينظر: المثل السائر، ١/٤٦.

يفتح ابن الأثير نافذة كبرى على دراسة النص، وفق هذه الآليات، التي وضعت "لفن الكتابة"، ويشرع بأحكام الكلام، مسبقًا لما سمي في الدرس المعاصر "لسانيات النص"، كما أن المتأمل في قضايا النحو والبلاغة لدى العلماء، وفي إطار حديثهم عن التماسك الحاصل في تأليف الكلام، أو صناعة الكلام أو الصناعة الشعرية، وربطها بالرغبة وسياق الحال، تبين رؤية متكاملة واضحة المعالم والحدود، تحكمت في تحليلاتهم ومناقشاتهم ووصاياهم في قضايا الكلام والنص، وقد استطاع العلماء من خلالها أن يتجاوزوا ذلك الإطار الضيق الذي لم يتعد تحليل الجملة أو مجموعة الجمل الذي فرضته القواعد المعيارية التعليمية على مستوى النحو أو البلاغة؛ ذلك أن البلاغة ليست أمرًا مستقلًا عن النحو، وأن البلاغة تساعد اللغة على أداء وظيفتها البلاغية، وهي فكرة وجدت صداها في لسانيات النص، "لأن كل عبارة متلفظ بها ينبغي ألا توصف فقط من جهة تركيبها الداخلي والمعنى المحدد لها، بل ينبغي أن ينظر إليها كذلك من جهة الفعل التام للإنجاز المؤدي إلى إنتاج تلك العبارة"(١).

ومفاد القول، إن علماء البلاغة قد تنبهوا إلى العديد من قضايا لسانيات النص وما يتميز به من ترابط أجزائه، وجودة التحامه وسبكه، وحسن صياغته، وأسلوبه الإيحائي، الذي يتطلب العودة إلى السياق من أجل فهمه، وتلاؤم دواله وانسجامها، ودقتها في أداء مقاصدها، حقيقة ومجازًا، وانفتاحه على كل الأمكنة والأزمنة، وعذوبة الموسيقى وحسن الجرس الموسيقي وترتيب الفواصل، فكثرت حوله الشروح والتفاسير، وتعددت القراءات والرؤى بتعدد وجهات الناظرين، انطلاقًا من قناعاتهم العلمية وميولاتهم ، ومنطلقاتهم ومرجعياتهم النظرية والفكرية والثقافية لفهم النص وتأويله.

---

(١) النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، فان ديك، ترجمة : عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠م، ص ١٨. وانظر: النص بنياته ووظائفه، نظرية الأدب في القرن العشرين، فان ديك، ترجمة: محمد العمري، إفريقيا الشرق، ١٩٩٦م، ص ٥١، ٥٢.

المبحث السابع: تماسك الفصول عند حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ):

استطاع حازم القرطاجني من خلال مؤلفه «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» أن يرسم أسس التماسك النصي من خلال حديثه عن تماسك فصول القصيدة، وبذلك كان: "أول من قسم القصيدة إلى "فصول"... وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة وما سماه "بالمقاطع" وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير والنهائي عن القصيدة" (١)، أي أن القصيدة عنده يجب أن يرتبط مطلعها بآخرها حتى تترك انطباعاً حسناً في نفس القارئ والسامع.

وهذا يوافق رأي محمد خطابي الذي يرى أن حازم القرطاجني يكون أول من بحث في كيفية التماسك النصي بشكل صريح حيث قال: "وأما البحث في الوسائل والعلاقات والكيفية فلم تظهر إلا في إنتاج حازم النقدي في حدود علمنا ... يمكن أن نميز فيما سماه القرطاجني "طرق العلم بإحكام مباني الفصول وتحسين هيئاتها ووصل بعضها ببعض" بين حالتين، تتعلق أولاهما بالفصل وما ينبغي أن يسلك فيه، وقد خصصه بثلاثة قوانين، وتتعلق الحالة الثانية بما ينبغي أن يتبع في ترتيب الفصول بعضها إلى بعض" (٢).

إن القصيدة عند حازم تتألف من أغراض، كما تتألف من فصول ثم إن هذه الفصول تتألف من أبيات، وهو يدعو إلى ارتباط الأبيات داخل الفصل ثم ارتباط الفصول فيما بينها لتجعل الأغراض متماسكة متلاحمة.

والقصائد عنده نوعان: بسيطة ومركبة، وهو يفضل القصيدة ذات الأغراض المتعددة، "فالبسيطة مثل القصائد التي تكون مدحاً صرفاً أو رثاءً صرفاً، والمركبة هي التي يشتمل الكلام فيها على غرضين، مثل أن تكون مشتملة على نسيب

---

(١) الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ١٩٩٩م، ص ٥٦.

(٢) لسانيات النص، محمد خطابي، ص ١٤٩- ١٥٠.

ومديح، وهذا أشد موافقة للنفوس الصحيحة الأذواق لما ذكرناه من ولع النفوس بالافتنان في أنحاء الكلام وأنواع القصائد" (١).

فالقصائد الجيدة عنده التي تحظى بالقبول والاستحسان هي التي تتعدد أغراضها وتتفاعل فيما بينها، فيحسن الشاعر الخروج من غرض والدخول إلى آخر دون الفصل بين الأغراض أو إحداث هوة بينها، لأن هذا يترجم قدرة الشعراء على التنقل بين الأغراض المتعددة و"هؤلاء هم المقصدون من الشعراء المقتدرون على تعليق بعض المعاني ببعض واجتلابها من كل مجتلب" (٢).

ولا تتجلى قدرة الشعراء عنده في الربط بين أغراض القصيدة المتعددة، والانتقال من غرض إلى آخر دون عناء، بل الشعراء المجيدون هم الذين يختبرون النفوس ويدركون أنها "تسأم التمادي على حال واحدة وتؤثر الانتقال من حال إلى حال، ووجدوها تستريح إلى استئناف الأمر بعد الأمر واستجداد الشيء بعد الشيء، ووجدوها تنفر من الشيء الذي لم يتناه في الكثرة ... اعتمدوا في القصائد أن يقسموا الكلام فيها إلى فصول ينحي بكل فصل منها منحى من المقاصد ليكون للنفس في قسمة الكلام إلى تلك الفصول ... فالراحة حاصلة بما لافتنان الكلام في شتى مذاهبه المعنوية، وضروب مبانيه النظمية" (٣).

فالأغراض تشكل مجموع الأعضاء أو اللبنات التي تنضوي تحت كيان القصيدة، وهنا تبرز قدرة الشاعر في الربط والتنسيق بين هذه الأغراض وإخضاعها لمسار القصيدة وبالتالي تظعن الأجزاء للكل. ثم نظر إلى ترتيب الكلام وعلاقة بعضه ببعض وتحسين هيئات الفصول، وخصه ببعض القوانين، يقول:

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م ، ص ٢٧٣.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٢٩٦.

"والكلام في ما يرجع إلى ذوات الفصول وإلى ما يجب في وضعها وترتيب بعضه من بعض يشتمل على أربعة قوانين:

القانون الأول: في استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها.

القانون الثاني: في ترتيب الفصول والمولاة بين بعضها وبعض.

القانون الثالث: في ترتيب ما يقع في الفصول.

القانون الرابع: في ما يجب أن يقدم في الفصول وما يجب أن يؤخر فيها وتختتم به"[١].

إن هذه الأفكار والآراء التي ازدان بها «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» جعلت محمد خطابي يعتبره أول من تطرق إلى إرهاصات اللسانيات النصية ، فقد أحاط بكل أجزاء القصيدة، وقدم وصفًا مفصلًا لكيفية تماسك النص الشعري القديم. كما اهتم ببداية النص وخواتمه دون إهمال صلب النص، أي إنه قد نظر إلى النص نظرة كلية، وقعد للترابط والتماسك النصي، فوضع منهاجاً يتبع للشعراء، وأنار درب الأدباء والبلغاء[٢].

وقد فصل حازم القرطاجني القول حول تماسك الفصل، وتماسك الفصول، والعلاقات بين الفصول، ويمكن تصنيف ما وصفه حازم القرطاجني لتماسك القصيد إلى:

١ــ تماسك الفصل:

أــ أن يكون متماسك النسج.

ب ــ أن يكون نمط النظم مناسبًا للغرض.

ج ــ تقديم الأهم فالأهم.

د ــ أن تكون بين أبياته علاقات اقتضاء: كالسببية والمحاكاة والتفسير.. إلخ.

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) انظر: لسانيات النص، محمد خطابي، ص ١٥٤-١٦٢.

٢ــ تماسك الفصول:

أــ استمرار غرض الفصل السابق في اللاحق.

ب ــ أن تكون الفصول متصلة العبارة والغرض.

ج ــ أن تكون الفصول متصلة الغرض دون العبارة.

د ــ أن تكون الفصول متصلة العبارة دون الغرض.

٣ــ العلاقات بين الفصول:

أ ــ الانتقال من الجزء إلى الكل، أو العكس.

ب ــ أن يكون رأس الفصل دالًا على بقية الفصل(بحيث تكون الأبيات التي تليه تتمة له)

ج ــ أن يكون آخر الفصل (أو القصيدة) استدلالًا على ما تقدم منه(ومنها).

وهذا التفصيل جعل الدكتور محمد خطابي يصنفه على أنه أول ناقد عربي يقدم وصفًا مفصلًا لكيفية تماسك النص الشعري –القديم على الأقل– مهتمًا ببداية القصيدة ونهايتها مرورًا بوسطها[١].

(١) انظر: لسانيات النص، محمد خطابي، ص ١٦٣.

الخاتمة:

أهم النتائج:

يمكن إجمال أبرز نتائج البحث في النقاط الآتية:

١ــ كشف البحث أن التراث العربي القديم يحوي كثيرًا من القضايا البلاغية والأسلوبية الحديثة، التي تساعد في فهم النصوص وتحليلها، غير أن هذه القضايا مبثوثة ومتفرقة في المصادر وهي في الغالب تفتقر للمنهج والتأصيل.

٢ــ يعد ابن المقفع(ت١٤٢هـ) صاحب أول إشارة إلى مفهوم فكرة النظم، وشيء من مضمونها، ويعد صاحب هذا النص أولَ من نُسبت إليه إشارة تتعلَّق بالنظم؛ حيث أشار إلى فكرة نظم الكلام عند البلغاء بصورةٍ عامة.

٣ــ تكشفت نصوص ابن المقفع عن إدراكه لمصطلح التماسك النصي الذي يعد من معايير النصية، وأيضًا يشير إلى النظرة الكلية للنص من جهة، ومن جهة ثانية توظيفه لبعض المصطلحات التي يوظفها علماء لسانيات النص اليوم كالاتساق والتماسك أو (الالتئام)، وبهذا لا يبتعد عن الأفكار التي قدمها المحدثون عن التماسك، وكذلك الاتساق.

٤ــ أبرز البحث إدراك الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) لبعض معايير النصية في كتابيه البيان والتبيين والحيوان، إذ تناول معايير جودة الشعر وجعل تلاحم الأجزاء والسبك من سمات الجودة، وحديث الجاحظ عن ترتيب الألفاظ هو ما يعني السبك،، وربط بعضها ببعض. ونجد إلحاحه على عملية السبك في حديثه عن شعر أبي نواس في قصيدته التي تحمل عنوان: لا خير في الثعلب، فشعر أبي نواس في نظر الجاحظ يتميز بجودة الطبع، وجودة السبك، مترابط الأجزاء، بعيد عن التكلف.

٥ــ يفهم من كلام ابن طباطبا العلوي(ت٣٢٢هـ) عن المناسبة بين أجزاء الكلام، وحسن التخلص إدراكه للتماسك والانسجام أيضًا، الذي أطلق عليهما التأليف والتنسيق وحسن التجاور باعتبارهما من الركائز الأساسية لعلم النص، ويبدو ذلك

واضحاً من خلال حديثه عن حسن التخلص والانتقال من موضوع إلى آخر، ووضع لذلك شروطًا، وقد جاءت هذه الآراء متفرقة في كتابه عيار الشعر.

٦ــ أكد البحث على أن أبا هلال العسكري (٣٩٥هـ) يدرك دلالة التماسك النصي من خلال حديثه عن التمام وجودة الرصف والسبك والالتئام، ويرى أن حسن السبك ودقة النظم يزيد من وضوح المعنى، كما أن الحشو والزيادة في المواضع التي لا يفيد فيها الحشو والحذف يخل بالمعنى ويفسد الكلام، إذا يعد السبك عنده من أهم شروط تمام النظم ووضوح المعنى، وهذا ينبيء عن وعيه بمفهوم التماسك النصي التي تلائم بين أجزاء الكلام وتجعله يبلغ أعلى مراتب الحسن والكمال.

٧ــ يمثل عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) مرحلة النضج في البلاغة العربية، وتعكس نصوصه النظرة الكلية للنص من جهة، ومن جهة ثانية توظيفه لبعض المصطلحات التي يوظفها علماء لسانيات النص اليوم كالاتساق والتماسك أو (الالتئام)، والاتساق، ويكون النظم هو مجموع العلاقات التي تربط بين الكلمات والجمل بحيث تكون كل لفظة مرهونة بما قبلها وما بعدها في انسجام تام. ويشير إلى أهمية التماسك في مقاربة النصوص ويقترب من الممارسة النصية.

٨ــ إن عبد القاهر الجرجاني قد اقترب من إدراك مفهوم الاتساق كما يُعرِّفه (هاليداي) و(رقية حسن)، بأنه: مجموع الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة. وهو لديهما ذو طبيعة دلالية، قوامه العلاقات المعنوية الموجودة في النص، وهو في الآن نفسه ما يكون به النص نصًا. ويكون الاتساق عندما يعتمد تأويل جزء من أجزاء النص على تأويل عنصر آخر منه، فلا يتسنَّى الأول إلا بالثاني، وبهذا يكون الاتساق جزءًا من نظام اللغة.

٩ــ ذكر الجرجاني أمورًا تتعلق بالتحليل النصي، وأولها النظرة الكلية باعتبار النص الوحدة الكبرى في التحليل، وذكر مصطلح" الالتئام"، وهو ما يقابل

التماسك، ولم يكتف بذلك، بل قرّر في تساؤله، أن هذا الإعجاز "لما بين الألفاظ من الاتساق العجيب"، وهو بهذا يشير إلى التماسك الشكلي والتماسك الدلالي.

١٠ــ ظهر في مؤلفات الجرجاني مظاهر مختلفة للاتساق مثل الإحالة والحذف والاستبدال والاتساق المعجمي والتضام، وكذلك مظاهر الانسجام النصي ، مثل: الترابط بين المقاطع النصية، البنية الكبرى، والفصل والوصل.

١١ــ يتضح أن الجرجاني تناول العلاقات الدلالية في كتابه، وإن لم تتفق في أغلبها مع مسميات المحدثين، إلا أنه أبان عن فكر متقدم، تجاوز به حدود اللفظ، إلى اللسانيات النصية.

١٢ــ يظهر من حديث ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٢٢هـ) عن المؤاخاة بين المعاني، والمعايير النصية أنه يدرك النظرية النصية بمصطلحاتها المختلفة، وكذلك نظرية إنتاج النص، ويجعل من النص تفاعلًا معرفيًا قبل أن يكون بنية لغوية، تندمج فيه دينامية الاستجابة المرئية في طبقاتها السطحية ضمن ما تحتويه من الموجود الملموس، مع روح التأمل الداخلي، قصد إدراك مخيلاته المخفية، ليتقاطع – بذلك – مع محاولات لسانية نصية معاصرة حاولت استجلاب أسرار النص.

١٣ــ رسم حازم القرطاجني(ت ٦٨٤هـ): في «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» أسس التماسك النصي من خلال حديثه عن تماسك فصول القصيدة، وبذلك كان"أول من قسم القصيدة إلى "فصول"... وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة وما سماه بالمقاطع، ويعد أول من تطرق إلى إرهاصات اللسانيات النصية، فقد أحاط بكل أجزاء القصيدة، وقدم وصفًا مفصلًا لكيفية تماسك النص الشعري القديم. كما اهتم ببداية النص وخواتمه دون إهمال صلب النص، أي إنه قد نظر إلى النص نظرة كلية، وقعد للترابط والتماسك النصي، فوضع منهاجاً يتبع للشعراء، وأنار درب الأدباء والبلغاء.

فهرس المصادر والمراجع:

أولًا: المراجع العربية:

١ــ الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني- دراسة مقارنة، محمد عباس، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩م.

٢ــ الأدب الصغير، عبد الله بن المقفع (المتوفى: ١٤٢هـ)، قرأه وعلق عليه: وائل بن حافظ بن خلف، دار ابن القيم بالإسكندرية، د.ط، د.ت.

٣ــ الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ١٩٩٩م.

٤ــ أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للتوزيع، ٢٠٠١م.

٥ــ البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(١٥٠-٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة، ١٤١٨ه- ١٩٩٨م.

٦ــ تحليل الخطاب، ج.يول، ج.براون، ترجمة محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، النشر العلمي بجامعة الملك سعود، ١٩٩٧م.

٧ــ التحليل اللغوي للنص - مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٨ــ الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٩م .

٩ــ الترابط النصي والخطاب الروائي العربي، سعيد يقطين، جامعة البحرين، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٨ / ١٩، ٢٠١٠م.

١٠ــ التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية)، محمد مفتاح، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م.

١١ــ الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة:

الثانية، ١٤٢٤ هـ.
١٢ـ الدر الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩هـ- ٧١٠ هـ)، تحقيق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥م.
١٣ـ دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي (المتوفى: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
١٤ـ ديوان أبي نواس الحسن بن هانيء، حققه وضبطه وشرحه: أحمد عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر، ١٩٥٣م.
١٥ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
١٦ـ سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى:٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
١٧ـ علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، تون إيه، ترجمة: سعيد حسن بحيري، الطبعة الأولى، القاهرة، دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١م.
١٨ـ علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، الطبعة الأولى، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ١٩٩٧م.
١٩ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.
٢٠ـ عيار الشعر، ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، الحسني العلوي، أبو الحسن (المتوفى: ٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي – القاهرة، د.ت.
٢١ـ في اللسانيات ونحو النص، د/ إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م.

٢٢ــ كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر)، تصنيف: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى ١٣٧١ه-١٩٥٢م.

٢٣ــ لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م.

٢٤ــ اللسانيات النصية بين الموروث اللساني العربي والدرس اللساني الغربي: مقاربة لسانية حديثة، للباحث/ زميط محمد، بحث منشور بمجلة جسور المعرفة، المجلد(٦)، العدد(١)، مارس ٢٠٢٠م.

٢٥ــ المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)، قدمه وعلق عليه الدكتور/ أحمد الحوفي والدكتور/ بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ط، د.ت.

٢٦ــ المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، محمد الصغير بناني، دار الحكمة، الجزائر، ٢٠٠١م.

٢٧ــ مدخل إلى علم لغة النص"تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر"، د/ إلهام أبو غزالة وعلى خليل حمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

٢٨ــ مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص. قراءة في بدايات ودواعي التأسيس والمساهمات العربية في اللسانيات النصية، المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ج١، دار كنوز المعرفة، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

٢٩ــ المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. دراسة معجمية، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٣٠ــ مفهوم التماسك النصي عند القدامى والمحدثين، الطيب الغرالي قواوة، بحث منشور بمجلة علوم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، الجزائر، العدد الرابع، مارس ٢٠١٢م.

٣١ــ من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م.
٣٢ــ من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي (سيرة ذاتية أكاديمية موجزة)، فان دايك، تون إيه ترجمة: أحمد صديق الواحي، مجلة النقد الأدبي فصول (ملف العدد: تحليل الخطاب: رهانات وآفاق)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد٧٧، ٢٠١٠م.
٣٣ــ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م.
٣٤ــ النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د/ محمد حماسة عبد اللطيف، ط١، دار الشروق، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٣٥ــ النص بنياته ووظائفه، نظرية الأدب في القرن العشرين، فان ديك، ترجمة: محمد العمري، إفريقيا الشرق، ١٩٩٦م.
٣٦ــ النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨م.
٣٧ــ النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، فان ديك، ترجمة : عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠م.
٣٨ــ النقد والإعجاز، محمد تحريشي: دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ٢٠٠٤م.
٣٩ــ هسهسة اللغة، رولان بارت ترجمة: منذر عياشي، الطبعة الأولى، حلب، مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٩م.
٤٠ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، د.ت.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Hassan,Ruqaia,Grammatical Cohesion in spoken and written english London. 1968.

فهـرس الموضـوعـات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١-	ملخص	٤٤٤
٢-	Abstract	٤٤٥
٣-	المقدمة	٤٤٦
٤-	التمهيد: اللسانيات النصية: المصطلح وتعدد المفاهيم.	٤٥٠
٥-	المبحث الأول: صياغة الكلام وبدايات فكرة النظم عند ابن المقفع(ت١٤٢هـ).	٤٥٤
٦-	المبحث الثاني: تلاحم أجزاء الشعر والسبك عند الجاحظ (ت ٢٥٥هـ).	٤٥٧
٧-	المبحث الثالث: المناسبة بين أجزاء الكلام، وحسن التخلص عند ابن طباطبا العلوي(ت٣٢٢هـ).	٤٦٠
٨-	المبحث الرابع: التمام وجودة الرصف والسبك عند أبي هلال العسكري(ت٣٩٥هـ).	٤٦٤
٩-	المبحث الخامس: النظم والاتساق عند عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ):	٤٦٧
١٠-	المبحث السادس: المؤاخاة بين المعاني، والمعايير النصية عند ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٢٢هـ).	٤٧٧
١١-	المبحث السابع: تماسك الفصول عند حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ):	٤٨٢
١٢-	الخاتمة:	٤٨٦
١٣-	فهرس المصادر والمراجع:	٤٨٩
١٤-	فهرس الموضوعات	٤٩٣